السَّنة التاسعةُ والثمانونَ بعد المئة

فيها توجَّه الرشيدُ إلى الرَّيِّ بسبب عليِّ بن عيسى بنِ ماهان، وكان الرشيدُ قد استشار يحيى بنَ خالدٍ في توليته خُراسان، فأشار ألَّا يفعل، فخالفه وولَّاه، فعَسَف الناسَ، وظَلَم وفَتَك، وجمع أموالاً عظيمةً وبعث بها إلى هارون، وكان فيها الخيلُ العِتاقُ والرَّقيق والطِّيب والمَتاع، فلم يُرَ هديةٌ أعظم منها، فعُرضت على هارونَ فاستعظمها، وكان يحيى جالساً عنده، فقال: هذا الذي أشرتَ ألَّا نولِّيَه، فقال له يحيى: ما أَحسنَ هذا لو لم يكن وراءَه ما تكره، قال: وما هو؟ قال: إنَّ هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم الناسَ، وأخذ أموالَ الأشرافِ وغيرِهم، وأنا قادرٌ أن أجمعَ لك في هذه الساعةِ من الأموال أكثرَ من هذا، عند فلانٍ سَفَطٌ فيه جوهرٌ يساوي سبعةَ آلافِ ألف، خذه ولا تعطِه شيئاً، وعند فلانٍ كذا وكذا، وعدَّد أشياء، قال: وسترى غِبَّ هذا.

وعاث عليُّ بن عيسى بخُراسان، واستخفَّ بأشرافهم وأخذ أموالَهم، فكتب إلى الرَّشيد وجوهُ خُراسانَ يشكون سوءَ عِشرته، ورداءةَ مذهبه، ويسألونه الاستبدالَ به، فاستشار يحيى بنَ خالدٍ مَن يولِّيه خراسان، فأشار عليه بيزيد بن مَزْيَد، فلم يقبل مشورتَه.

وقيل للرَّشيد: إنَّ عليَّ بن عيسى على عزمِ الخلاف، فسار يُريد الرَّي، وعسكر بالنَّهْرَوَان ومعه ابناه المأمونُ والقاسم، ولمَّا وصل إلى قَرْمِيْسِين استدعى القُضاةَ والشُّهود، وأَشهدهم أنَّ جميعَ ما في عسكره من الأموال والسلاحِ والكُراع وغيرِه لعبد الله المأمون، وبعث هَرْثَمَةَ بن أَعْيَن إلى بغداد، فجدَّد البَيعةَ على الأمين لأخيه المأمونِ والقاسمِ بعده على ما تقرَّر بمكَّة.

وسار الرشيدُ فنزل الرَّي، فأَقام أربعةَ أشهر، حتى قدم عليه ابنُ ماهانَ بالأموال والطُّرَف، والتُّحَف، والهدايا، والجواهرِ وأواني الذهبِ والفضَّة، والخيلِ والسِّلاح، وغيرِ ذلك، وأَهدى إلى جميع مَن كان معه من ولده، وأهلِ بيته، وكتَّابه، وخدَّامه،

وقوَّاده على قَدْر طبقاتهم، فرضي عنه هارون، وظنَّ به غيرَ ما كان يظنُّ ممَّا نُقل إليه عنه، فأَعاده إلى خُراسانَ والياً، وخرج معه فشيَّعه.

وقدم عليه خُزَيمةُ بن خازم ـ وقيل: سعيدٌ الحَرَشِيّ ـ بأربع مئةِ رجلٍ من الكفَّار من أهل طَبَرِسْتان، فأَسلموا على يد هارون.

وولَّى الرشيدُ وهو بالرَّي عبدَ اللهِ بنَ مالكٍ طَبَرِسْتانَ والرَّيَّ ودُنْباوَنْد وقُومس وهَمَذَان، وولَّى عيسى بنَ جعفرِ بن سليمانَ عُمان، فغزا في البحر، ففتح حصونَ الكفار. وقيل: إنَّه قطع البحرَ من ناحية جزيرةِ ابنِ كاوان[1]، ففتح حصناً وحاصر آخَر، وعقل عن نفسه وما احترز، فهجم عليه ابنُ مَخلَد الأزديُّ وهو غارّ، فأَسره وحمله إلى عُمان.

حديث نَخْلَتَي حُلْوان:

قال إسحاقُ بن إبراهيمَ المَوْصِليّ: لمَّا خرج هارونُ إلى خراسانَ في سنة تسعٍ وثمانين ومئة، وهي أوَّل خرجاتِه إليها، نزل بحُلْوان، ومرض بطَرْح الدَّم، وكان على عَقَبة حُلوانَ نخلتان من أَحسن النَّخيل، فوصف له الأطباءُ الجُمَّار[2]، فقطعوا إحداهما، وكانتا توأمَتَين، وأَطعموه من جُمَّارها، فبرئ، فلمَّا عاد من الرَّي، مرَّ على التي لم تُقْطَع، فوجد عليها مكتوباً وهي قائمةٌ وحدها: [من الخفيف]

أَسعِداني يا نخلَتَي حُلْوانِ ... وفِيَا لي إنْ كنتما تَفِيَانِ[3]
أسعِداني وأَيقِنا أنَّ نَحْساً ... سوف يأتيكما فتَفْتَرقانِ

فبكى الرشيدُ وقال: واللهِ لو علمتُ أنِّي نَحْسُهما لَمَا قطعتُهما ولو مُتُّ. والشِّعر لمطيعِ بن إياسٍ في جاريةٍ فارَقَها، وهو: قال:

أَسعِداني يا نخلتَي حُلْوانِ ... وابْكيا لي من رَيْبِ هذا الزَّمانِ
أَسعِداني وأَيقِنا أنَّ نحساً ... سوف يأتيكما فتفترقان

---

(١) في (خ): واكان، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣١٧.

(٢) هو شحم النخل.

(٣) الشطر الثاني في المصادر -وكذا سيذكره بعد قليل-: وابكيالي من ريب هذا الزمان. انظر المضاف والمنسوب للثعالبي ص٥٨٩، والأغاني ١٣/ ٣٣١ـ٣٣٢، ومعجم الشعراء ص٤٥٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٧، ومعجم البلدان (حلوان)، والوافي بالوفيات٢٥/ ٦٤٧.

فلَعَمْري لو ذُقْتُما حُرْقَةَ الفُرْ قةِ أَبكاكُما الذي أَبكاني
كم رَمَتْني صروفُ هذي الليالي بفِراق الأَحبابِ والخُلَّان

وهذا الشِّعر قديم؛ فإنَّ المهديَّ مرَّ بهما ونزل عندهما، وقال لجاريته حَسَنة: غني، فغنَّت: [من الطويل]

أَيَا نخلتَي وادي بُوَانةَ حبَّذا إذا نام حرَّاسُ النخيلِ جَناكُما[1]

فقال المهديّ: أُريد أن أقطعَ هاتين النَّخْلَتين، فقالت له حَسَنة: أُعيذك بالله أن تكونَ الذي أَشار إليه مُطيع، وأَنشدت البيتين، فقال: لله درُّك، واللهِ لا تعرَّضت. ووكَّل بهما مَن يَحفظهما ويقوم بأَمرهما.

وقد أكثر الشعراءُ في نخلَتي حُلوانَ، قال حمَّاد بنُ إِسحاق: [من الخفيف]

أيُّها العاذِلانِ لا تَعْذُلاني ودَعاني من المَلامِ دعاني
وابكيا لي فإنَّني مُسْتَحِقٌّ منكما بالبكاءِ أن تُسعِداني
وأنا منكما بذلك أَوْلى من مُطيعٍ بنخلَتَي حُلْوانِ
فهما تجهلانِ ما كان يشكو من جَواه وأَنتما تعلمان[2]

وقال آخر[3]: [من الخفيف]

جَعل اللهُ سِدْرَتَي قصرِ شِيرِيـ ـنَ فداءً لنخلتَي حُلْوانِ
جئتُ مُسْتَسْعِداً[4] فلم يُسعداني ومُطيعٌ بكَتْ له النَّخلتان

وفيها رجع الرشيدُ إلى بغدادَ من الرَّيِّ بعد أن أَحسنَ إلى أهلها؛ لأنَّه وُلد بالرَّيّ. وقال أبو العَتاهِية: [من السريع]

إنَّ أمينَ اللهِ في أرضه حنَّ به البِرُّ إلى مولِدِهْ
ليُصلحَ الرَّيَّ وأَقطارَها ويُمطرَ الخير بها من يدهْ[5]

(١) الأغاني ١٣/ ٣٣٣، ومعجم البلدان (حلوان).
(٢) المضاف والمنسوب ص٥٨٩-٥٩٠، والأغاني ١٣/ ٣٣٤، ومعجم البلدان (حلوان).
(٣) هو حماد عجرد، انظر المصادر السابقة.
(٤) في (خ): مستعدياً، والمثبت من المصادر.
(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣١٧.

ولمَّا انصرف الرشيدُ من الرَّي، أدركه الأَضحى بقصر اللُّصوص، فضحَّى به، ثم دخل بغدادَ لليلتين بقيتا من ذي الحِجَّة، فلمَّا مرَّ بالجِسْر أمر بإحراق جثَّةِ جعفر ـ وقيل: إنَّه كان أمر بذلك عند توجُّهه إلى خُراسان ـ ولم ينزل بغداد، وسار يطلب الرقَّة، فنزل بالسَّيْلَحِين، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، طويتَ بغدادَ فلم تنزلْها! فقال: والله إنِّي لأَعلم أنَّ ما في الشَّرق والغربِ مدينةً مثلَها، وإنَّها لَوطني ودارُ ملكِ بني العباس، وما نال أَحداً من آبائي بها سوء، لَنِعم الدارُ هي، ولكن لا بدَّ من المُناخ على ناحية أهلِ النِّفاق والشِّقاقِ خوفاً منهم، ولولا ذلك ما خرجتُ منها أبداً. وفي ذلك يقول العباسُ ابن الأَحنف: [من الخفيف]

ما أَنخْنا حتَّى ارتحَلْنا فما نَفْـ ... ـرُقُ بين المناخِ والارتحالِ
ساءَلونا عن حالنا إذ قَدِمنا ... فَقَرَنَّا وداعَهمْ بالسُّؤال[1]

وفي هذه السَّنةِ بعث نقفورُ إلى الرَّشيد يطلب الصُّلحَ والفداء، فأَجابه، فلم يبقَ بأرض الرُّومِ من الأُسارى مسلمٌ إلَّا فُودي به، وقيل: إنَّهم بلغوا أربعةَ آلافِ مسلم، فقال مروانُ بن أبي حَفْصَة: [من الطويل]

وفُكَّت بك الأَسرى التي شُيِّدت لها ... مَحابسُ ما فيها حَميمٌ يَزورُها
على حينَ أعيا المسلمين فِكاكُها ... وقالوا سجونُ المشركين قبورُها[2]

وحجَّ بالناس العباسُ [بن موسى][3] بنِ عيسى بن موسى بنِ محمَّد بن عليِّ بن عبدِ الله بنِ عباس.

إسحاق بنُ عبدِ الرَّحمن

ابنِ المغيرةِ بن حُميد بن عبدِ الرَّحمن بنِ عَوفٍ الزُّهري[4].

من الطبقة الخامسةِ من أهل المدينة، وأبوه عبدُ الرَّحمن هو الذي يقال له: غُرَير.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣١٧، والكامل ٦/ ١٩٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٦٨.

(٢) وقع في (خ): عدة تحريفات في البيتين، أصلحتها من الديوان ص٤٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٣١٨، والمنتظم ٩/ ١٦٣.

(٣) زيادة من تاريخ الطبري والمنتظم.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢١، والمنتظم ٩/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٠٧.

سكن بغداد، وكان في صحابة المهديِّ والهادي والرَّشيد، وكان جواداً ممدَّحاً، وفيه يقول الشاعرُ[١] وفي أخيه يعقوب: [من الطويل]

نفى الجوعَ عن بغدادَ إسحاقُ ذو النَّدى ... كما [قد] نفى جوعَ الحجازِ أَخوهُ
وما يلكُ من خيرٍ أَتَوه فإنَّما ... فِعالُ غُرَيرٍ قبلَهم وَرِثوه
فأُقسمُ لو ضاف الغُرَيْريَّ بَغْتَةً ... جميعُ بني حوَّاءَ ما حَفَلوه
هو البحرُ بل لو حلَّ بالبحرِ رِفدُه ... ومَن يَجتديه ساعةً نَزَفوه

وكان إسحاقُ مُعجَباً بعَبَّادة جاريةِ المُهَلَّبية، وكانت مُنْقَطِعةً إلى الخَيزُران[٢]، ذاتَ منزلةٍ عندها، فركب عبدُ الله بنُ مُصْعبِ بن الزُّبير وإسحاقُ إلى المهديّ، وكانا يأتيانه في كلِّ عشيةٍ فيقيمان عنده حتى ينقضيَ سَمَرُه، فلقيا في طريقهما عبَّادة، فساق إسحاقُ دابَّته ومضى فنظر إليها ثم عاد، ودخلا على المهديّ، فأخبره مصعبٌ بخبر إسحاقَ وما كان منه، فقال المهديّ: أنا أَشتريها لك.

وقام من وقتِه فدخل على الخَيزُران، فقال: أين المُهَلَّبية؟ فجاءت، فقال: تبيعيني عَبَّادةَ بخمسين ألف درهم؟ فقالت: إنْ كنتَ تريدها لنفسك، فبها فداكَ الله، فقال: إنَّما أُريدها لإسحاقَ بن غُرير، فبكت الجارية، وقالت الخيزران: ما يُبكيك؟! واللهِ لا يقدر عليكِ ابنُ غُرير أبداً، وصار ابنُ غُريرٍ يتعشَّق جواريَ الناس؟! فخرج المهديُّ فأَخبر إسحاق، وأَمر له بخمسين ألف درهم، فأَخذها، وقال أبو العتاهية: [من المنسرح]

حبُّك المالَ لا كحبِّك[٣] عَبَّا ... دةَ يا فاضحَ المُحبِّينا
لو كنتَ أَخلصتَها الوفاءَ كما ... قلت لمَا بعتَها بخمسينا

وكانت وفاة إسحاقَ ببغدادَ في هذه السَّنة، ورثاه مِكْنَفٌ من ولد زهيرِ بن أبي سُلمى فقال: [من الكامل]

---

(١) هو الصهبي كما في نشوار المحاضرة ٦/ ٢٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٢٢، والمنتظم ٩/ ١٦٤ (على تحريف فيه)، والتبيين ٢٩٨ . وما يأتي بين حاصرتين منها.

(٢) يعني أن المهلبية منقطعة إلى الخيزران، كما في المصادر.

(٣) في (خ): كحب، والمثبت من ذيل الديوان ص٦٤٨، ونشوار المحاضرة ٦/ ٢٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٢٣، والمنتظم ٩/ ١٦٥.

فلَئن بَكَت[١] جَزَعاً عليه لقد بكت جَزَعاً عليه مكارمُ الأخلاقِ
يا خيرَ مَن بكت المكارمُ فَقْدَه لم يبقَ بعدَك للمكارم باقِ
لو طاف في شرق البلادِ وغربها لم يَلْقَ إلَّا حامداً للَّاقي
ما بِتَّ من كرم الطبائعِ ليلةً إلَّا لِعرضِك من نَوالِك واقي
بَخِلَت بما حوت الأكفُّ وإنَّما [خَلَقَ][٢] الإلهُ يديك للإنفاق

سعيدُ بن سليمانَ

ابن نوفلِ بن مُساحِق[٣]. ولي قضاءَ المدينةِ للمهديِّ، ووفد على الرَّشيد.

قال نَوْفلُ بن مَيمون: جاء سعيدُ بن سليمانَ إلى عبد اللهِ بن محمَّد بن عمرانَ القاضي، فشهد عنده في شيء، فردَّ شهادته، فلمَّا عُزل عبدُ الله عن القضاءِ وولي سعيد، جاء عبدُ اللهِ فشهد عنده بشهادة، فأخذ شهادتَه، فنظر فيها ساعةً، ثم رفع رأسَه وقال: المؤمنُ لا يَشفي غيظَه، ثم وقَّع على شهادته. وكانت وفاتهُ بالمدينة.

سليمان[٤] بن حَيَّان

أبو خالدٍ الأَزْدي، ويُعرف بالأحمر. وُلد سنةَ أربعَ عشرةَ ومئة. وكان صديقاً لسفيانَ الثوري، وكان سفيانُ يثني عليه، فلمَّا خرج محمَّد بن عبدِ الله بنِ حسن، خرج معه[٥]، فهجره سفيان. وكان رجلاً صالحاً.

قال عثمانُ بن أبي شيبة: دخلتُ على الأَحمر عند موتهِ وليس في بيته إلَّا مِخَدَّةٌ تحت رأسهِ، وهو يقول: أُخرجي يا نفس، أُخرجي، فواللهِ لَخروجُك أَحبُّ من بقائك في بَدَني.

---

(١) أي العيون كما في البيت الذي قبل هذا في تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٤، والمنتظم ٩/ ١٦٦.

(٢) زيادة من تاريخ بغداد، والمنتظم.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٩٤، والمنتظم ٩/ ١٦٧.

(٤) في (خ): سليم، وهو خطأ. صوابه من تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨، والمنتظم ٩/ ١٦٧، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٥٩، والسير ٩/ ١٩ .

(٥) كذا، والذي في المصادر أنه خرج مع إبراهيم بن عبد الله.

سمع يحيى بنَ سعيدٍ القطَّان[١]، وامرأتَه[٢]، وروى عنه الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ رحمةُ اللهِ عليه وغيرُه، وكان ثقة.

العبَّاس بن الأَحْنَف

ابنِ الأَسود بن طَلْحة، أبو الفضلِ الشاعر[٣]. من ولد الدِّيل من عَرب خُراسان، ومنشؤه بغداد.

كان حُلواً، ظريفاً، مقبولاً، حسنَ العِشْرة، ومعظمُ شعرِه في الغزل والمديح.

وله أخبارٌ مع الخلفاء، قال: حُملْتُ إلى دار الخلافةِ وإذا بيحيى بنِ خالدٍ جالس، فقال: يا عبَّاس، إنَّ ماردةَ الغالبةَ على أمير المؤمنين قد تجنَّت عليه، فهي بدالَّة المعشوقِ تأبى أن تعتذرَ إليه، وهو بعزَّة الخلافةِ يأبى أن يبتدئَها، فقُلْ شعراً يسهِّل الأمرَ بينهما، فأخذتُ الدَّواةَ وكتبت: [من الكامل]

العاشقانِ كلاهما مُتَعَنِّتٌ ... وكلاهما متوجِّد متغضِّبُ
صدَّت مُغاضبةً وصدَّ مُغاضباً ... وكلاهما ممَّا يُعَالِجُ مُتْعَب
راجع أحبَّتك الذين هجرتَهم ... إنَّ المتيَّم قلَّ ما يتجنَّبُ
إنَّ التجنُّب إنْ تطاول منكما ... دبَّ السُّلوُّ له فعزَّ المَطْلَب[٤]

ودفعت الرُّقعة إلى يحيى، فأخذها ودخل على الرَّشيد، فلمَّا قرأها قال: واللهِ ما رأيت شعراً أَشبهَ بما نحن فيه من هذا. ثم أَمَرَ لي بمالٍ عظيم، وبَعَثَت إليَّ ماردةُ بمثله.

وقال عبدُ اللهِ بن الربيع: قال هارونُ بيتاً ورام يَشْفَعه بآخَرَ، فامتنع القولُ عليه، فقال: عليَّ بالعبَّاس بنِ الأحنف، فلمَّا طُرق فزع وذُعِر أهلُه، فلمَّا وقف بين يديه قال: وجَّهتُ إليك لبيتٍ قلتُه ورُمت أن أشفعَه بمثله فامتنع القولُ عليّ، فقال: ياأميرَ

(١) كذا، والصواب: الأنصاري.
(٢) كذا وردت هذه الكلمة، ولم أتبينها.
(٣) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢/ ٧٢٨، طبقات الشعراء ٢٥٤، الأغاني ٨/ ٣٥٢، تاريخ بغداد ١٤/ ٨، المنتظم ٩/ ٢٠٦، معجم الأدباء ١٢/ ٤٠، تاريخ الإسلام ٤/ ١١٣٤، السير ٩/ ٩٨.
(٤) العقد الفريد ٦/ ٣٨٦، والوافي بالوفيات ١٦/ ٦٤٢، وطبقات ابن المعتز ص٢٥٦ إلا أنه لم يذكر البيت الثالث.

المؤمنين، دعني حتى ترجعَ إليَّ نفسي، فقد طرقني وعيالي حالٌ اللهُ أعلمُ بها، فانتظر هُنيَّةً ثم أَنشد هارون: [من مجزوء الوافر]

جنانٌ قد رأيناها ... فلم نرَ مثلَها بشرا

فقال العبَّاس:

يزيدُك وجهُها حُسناً ... إذا ما زدتَه نظرا

فقال هارونُ: زدني، فقال:

إذا ما الليلُ مال عليـ ... ـك بالإظلام واعتكرا
ودَجَّ فلم ترى قمراً ... فأَبرِزْها ترى قمرا[1]

فقال له هارون: قد ذعرناك وأَفزعنا عيالَك، وأقلُّ الواجبِ أن نعطيَك دِيَتَك، فأَمر له بعشرة آلافِ درهم.

ومن شِعر العبَّاس: [من البسيط]

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا ... وفرَّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقا
مكاذب قد رمى بالظنِّ غيرَكمُ ... وصادقٌ ليس يدري أنَّه صَدَقا[2]

أخذه من قول العُقيلي: [من الطويل]

أَلَا يا سرورَ النَّفسِ ليس بعالمٍ ... بك الناسُ حتى يعلموا ليلةَ القدرِ
سوى رَجْمِهم بالظنِّ والظنُّ مخطئٌ ... مِراراً ومنهم مَن يُصيب ولا يدري[3]

وقال[4]: [من البسيط]

أَفدي[5] الذين أَذاقوني مودَّتَهمْ ... حتى إذا أَيقظوني في الهوى رَقَدوا

---

(١) الأبيات مع القصة في تاريخ بغداد ١٤/ ١١-١٢، والمنتظم ٩/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) الأغاني ٨/ ٣٦٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ٩، والمنتظم ٩/ ٢٠٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ١٠.

(٤) نسبت الأبيات أيضاً لبشار بن برد، انظر ديوانه ٢/ ٢٢٨، وعيون الأخبار ٣/ ٧٨، وطبقات ابن المعتز ص٢٥٥، والأغاني ٨/ ٣٦٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠، والوافي ١٦/ ٦٣٨.

(٥) في المصادر: أبكي، وفي بعضها: أشكو.

واستنهضوني فلمَّا قمتُ نحوهمُ[١] بثِقْلِ ما حمَّلوني منهمُ[٢] قعدوا
لأَخرجنَّ من الدنيا وحبُّهمُ بين الجوانحِ لم يَشْعُرْ به أحدُ

وقال[٣]: [من المنسرح]

إنْ تَشْقَ عيني بهمْ فقد سَعِدت عينُ رسولي وفُزْتُ بالنَّظرِ[٤]
وكلَّما جاءني الرسولُ لهمْ رددتُ شوقاً في طَرْفه بصري
تظهرُ في وجهه محاسنهمْ قد أثَّرت فيه أحسنَ الأَثر
خذ مُقْلَتي يا رسولُ عارِيةً فانظرْ بها واحتكمْ على بصري

ذِكر وفاتِه:

قال عمر بن شَبَّة: مات العباسُ بن الأحنفِ في اليوم الذي مات فيه محمَّد بن الحسن والكسائيُّ سنةَ تسعٍ وثمانين[٥] ومئة، وقيل: سنةَ ثمانٍ وثمانين، وقيل: إنَّ وفاتَه تأخَّرت بعد وفاةِ الرشيد.

وقال محمَّد بن يزيدَ الثُّمالي: مات العباسُ وإبراهيم الموصليُّ في يومٍ واحد، فرُفع خبرُهم إلى الرشيد، فأمر المأمونَ بالصَّلاة عليهم، فوافاهم في موضعِ الجنائز، فقال: مَن قدَّمتم؟ قالوا: إبراهيم، قال: أَخِّروه وقدِّموا العباس، وصلَّى عليهما. فلمَّا فرغ اعترضه بعضُ الطاهريةِ[٦] فقال: أيها الأميرُ، لمَ قَدَّمت عباساً؟ فقال: يا فضوليُّ؛ لقوله: [من الكامل]

---

(١) في المصادر: منتصباً.

(٢) في (خ): من حبهم، ولا يستقيم به الوزن، وفي الديوان: ودهم.

(٣) نسب الأبيات للعباس بن الأحنف الطبري ٨/ ٦٥٨، وتابعه ابن الأثير ٦/ ٤٣٧، ونسبها صاحب الوفيات ٣/ ٢٢ للرشيد، وصاحب محاضرات الأدباء ٣/ ٢٠٩ لمحمَّد بن أمية، وهي في المدهش ص١٠٥ دون نسبة، وهي أيضاً في ديوان أبي نواس ص٢٨٦ .

(٤) في المدهش: وفاز بالنظر، وفي بقية المصادر: وفزت بالخبر.

(٥) الذي في تاريخ بغداد ١٤/ ١٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥ عن عمر بن شبة: مات إبراهيم الموصلي في سنة ثمان وثمانين ومئة، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي وعباس الأحنف.
فإقحام محمد بن الحسن في هذا الخبر وهم ، والله أعلم. وانظر المنتظم ٩/ ٢٠٨.

(٦) في وفيات الأعيان ٣/ ٢٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ٦٣٩ أنه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي.

أَسماكِ لي قومٌ وقالوا إنَّها ... لَهي التي تشقى بها وتكابِدُ
فجَحَدتُهمْ ليكونَ غيرَك ظنُّهم ... إنِّي لَيعجبني المحِبُّ الجاحد[1]

قلت: والبيتان من أبياتٍ أوَّلُها:

قالت مَرِضْتُ فعُدْتُها فتبَرَّمَت ... فهي الصَّحيحةُ والمريضُ العائدُ
تاللهِ لو أنَّ القلوبَ كقلبها ... ما رقَّ للولد الضعيفِ الوالد
كتبتْ بأن لا تأتِنا فهجرتُها ... لتذوقَ طعمَ الهَجْرِ ثم أُعاود
ماذا عليها أن يُلِمَّ برَبْعها ... ذو خُلَّةٍ بسَلامةٍ مُتعاهد
إنْ كان ذَنْبي في الزِّيارة فاعلمي ... أنِّي على كسب الذُّنوب لَجاهد
أَسماكِ لي قومٌ وقالوا إنَّها ... لَهي التي تَشقى بها وتُكابِدُ
فجَحَدْتُهمْ ليكونَ غيرَكِ ظنُّهمْ ... إنِّي لَيُعجبني المُحِبُّ الجاحد
إنَّ النساءَ حَسَدْنَ وجهَكِ حُسنَه ... حُسنُ النساءِ لحُسن وجهِك ساجد
جالَ الوِشاحُ على قضيبٍ زانَه ... رُمَّان صدرٍ ليس يُقطَفُ ناهِدُ
لمَّا رأيتُ الليلَ سدَّ طريقه ... عنِّي ولازمني الظلامُ الرَّاكد
والنجمُ في كَبِد السماءِ كأنَّه ... أعمى تَحَيَّر ما لديهِ قائد
ناديتُ مَن طَرَد الرُّقادَ بنَومه ... عمَّا أُكابِدُ وهو خِلْوٌ هاجد
يا ذا الذي صَدَع الفؤادَ بصَدِّه ... أنت البلاءُ طريفُه والتَّالد
ألقيتَ بين جفونِ عيني فُرْقَةً ... فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد
أُردد فؤادي ثم نَمْ في غِبطةٍ ... إنِّي امرؤٌ سَهَري لنَوْمِكَ حاسد[2]

قلت: وفي هذا نظر؛ لأنَّ وفاةَ العباسِ كانت بالبصرة[3]، قال الأَصمعي: بينا أنا ذاتَ يومٍ قاعدٌ في مجلسٍ بالبصرة، إذا بغلام من أحسنِ الناسِ وجهاً، وأنظفِهم ثوباً، واقفٌ على رأسي، فقال: إنَّ مولاي يريد أن يوصيَ إليك، فقمتُ معه، فأخذ بيدي

(١) قال الخطيب في تاريخه ١٤/ ١٣: في هذا الخبر نظر، لأن وفاة العباس كانت بالبصرة، واختلف في الوقت الذي مات فيه.

(٢) انظر بعض هذه الأبيات في زهر الآداب ٢/ ٩٤٧، والعقد الفريد ٢/ ٤٥٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٠-١١، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٤٥.

(٣) هذا القول للخطيب لا للمصنف أو المختصر، انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٣.

وأَخرجني إلى الصَّحراء، فإذا بالعبَّاس بنِ الأَحْنَف مُلْقًى على فراشه وهو يجودُ بنفسه ويقول: [من المديد]

يا بعيدَ الدارِ[١] عن وَطَنِهْ مُفرَداً يبكي على شَجَنِهْ
كلَّما جنَّ النَّحيبُ بهِ زادت الأَسقامُ في بَدَنِهْ

ثم أُغمي عليه، وانتبه بصوت طائرٍ يغرِّد على شجرة، فقال:

ولقد زاد الفؤادَ جَوًى طائرٌ يبكي على فَنَنِهْ
شاقَه ما شاقني فبكى كلُّنا يبكي على سَكَنِهْ

ثم أُغمي عليه، فظننتُها مثلَ الأولى، فحرَّكته فإذا هو ميِّت.

وقال هاشمُ[٢] بن عبدِ الله الخزاعي: كنَّا بالرقَّة مع هارون، فكتب إليه صاحبُ الخبرِ بموت الكسائيِّ وإبراهيمَ الموصليِّ والعباسِ بن الأحنفِ في يومٍ واحد، فقال لابنه المأمون: أُخرج فصلِّ عليهم. فخرج في وجوه أهلِه وخاصَّته وقوَّاده وقد صفُّوا له، فقالوا للمأمون: مَن ترى أن نقدِّم؟ قال: الذي يقول:

يا بعيدَ الدارِ عن وطنهْ مُفرَداً يبكي على شَجَنِهْ

وأَشار إلى العبَّاس، فقدَّموه، فصلَّى عليه.

قلت: وهذا خَلَل؛ لاجتماع أَربابِ السِّيَر على أنَّ الكسائيَّ ومحمَّدَ بن الحسن ماتا بالرَّيِّ في هذه السَّنة، والعباس مات بالبصرة في قولِ الخطيب، ثم كان الكسائيُّ إماماً وفيه من كلِّ فنّ، وكان يعلِّم المأمونَ والأمين، فكيف يقدَّم عليه شاعر؟! واللهُ أعلم.

عليُّ بن حَمْزَةَ

ابنِ عبد اللهِ بن بَهْمَن بنِ فَيروز، مولى بني أسد، أبو الحسن، المعروفُ بالكِسائي[٣]؛ لأنَّه أَحرم بكِساء. وقيل: إنَّه دخل مسجدَ السَّبيعِ بالكوفة وهو ملتفٌّ بكساء، فسمِّي من

(١) في (خ): الديار، والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ١٣، والمنتظم ٩/ ٢٠٧، والوفيات ٣/ ٢٦.
(٢) في (خ): هشام، وهو خطأ، والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٢٥، والوافي ١٦/ ٦٣٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٥، والمنتظم ٩/ ١٦٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٢٧، والسير ٩/ ١٣١ وفيه مصادر أخرى.

ذلك اليوم.

وكان أحدَ الأئمَّة في القراءة والنحوِ والعربية، واستوطن بغداد، وكان يعلِّم الرشيد، وبعده الأمينَ والمأمون، وكان إماماً في كلِّ فنّ.

وقال أبو حاتم السِّجستاني: قدم علينا عاملٌ من أهل الكوفةِ لم أرَ في عمَّال السلطانِ بالبصرة أبرعَ منه، فدخلتُ مسلِّماً عليه، فقال: يا سِجِستاني، مَن علماؤكم بالبصرة؟ قلت: الزِّيادي أعلمُنا بعلم الأَصمعي، والمازنيُّ أعلمنا بالنَّحو، وهلالٌ أفقهنا، والشَّاذَكوني أعلمُنا بالحديث، وأنا[1] ـ رحمك الله ـ أُنسَب إلى علم القرآن، وابنُ الكلبيِّ من أكْتَبنا للشُّروط.

فقال لكاتبه: إذا كان غدٌ[2] فاجمعْهم لي، فجمعنا، فقال: أيُّكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا يرحمكَ الله، قال: هل يُجزئُ في كفَّارة الظِّهار عتقُ عبدٍ أعور؟ فقال المازنيّ: لست بصاحب فقهٍ أنا صاحبُ عربية، فقال: يا زياديّ، كيف تكتب بين رجلٍ وامرأةٍ خالعها زوجُها على الثُّلث من صَداقها؟ فقال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال، فقال: ياهلال، كم أسند ابن عَون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني، مَن قرأ: ﴿ألا إنهم تَثْنَوْني صدورهم﴾[3]؟ [هود: ٥]. قال: ليس هذا من علمي، هذا من علمِ أبي حاتم، قال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتاباً إلى أميرِ المؤمنين تصف فيه خَصاصةَ أهلِ البصرة وما أصابهم في الثَّمرة من الجَوائح، وتسأله النَّظِرةَ لهم؟ فقال: لستُ صاحبَ بلاغةٍ وكتابة، أنا صاحبُ قرآن، قال: وما أقبحَ بالرَّجل يتعاطى العلمَ خمسين سنةً لا يعرف إلَّا فنًّا واحداً، حتى إذا سئل عن غيرِه لم يَجُلْ فيه ولم يَحر، لكنَّ عالمَنا الكسائيَّ بالكوفة لو سُئل عن كلِّ هذا لَأجاب.

وقال الفرَّاء: لقيت الكسائيَّ يوماً، فرأيتُه كالباكي، فقلت: ما الذي بك؟ فقال:

---

(١) في (خ): وأنت، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٠، وعنه المنتظم ٩/ ١٧١.

(٢) في (خ): غداً.

(٣) قرأ بها ابن عباس -بخلاف- ومجاهد ونصر بن عاصم وغيرهم. انظر القراءات الشاذة ص٥٩، والمحتسب ١/ ٣١٨.

هذا يحيى بنُ خالدٍ يسألني عن الشيء، فإن أبطأت عيَّبَ عليّ، وإنْ بادرتُ لم آمَن الزَّلل، فقلت ممتحناً له: يا أبا الحسن، مَن يَعترض عليك! قل ما شئتَ فأنت الكسائيّ. فأخذ لسانَه بيده وقال: قطعه اللهُ إذن إن قلتُ ما لا أعلم.

ذكر وفاته:

مات بالرَّيِّ في قريةٍ يقال لها رَنْبَويه سنةَ تسعٍ وثمانين ومئة، ومات في ذلك اليومِ محمَّد بن الحسن، فقال هارون: دفنتُ الفقهَ والعربيةَ بالرَّي. وبلغ الكسائيُّ سبعين سنة.

وقال أبو مِسْحَل: رأيت الكسائيَّ بعد موتِه في النوم وكأنّ وجهَه البَدْر، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي بالقرآن، فقلت: فما فعل حمزةُ الزيَّات؟ قال: ذاك في عِلِّيين، وما نراه إلَّا كما يُرى الكوكبُ الدُّرِّي. قال أبو مسحل: فلم يدع قراءتَه حيًّا ومَيِّتاً.

أَسند الكسائيُّ عن أبي بكر بنِ عيَّاش وسليمانَ بنِ أرقمَ وغيرِهم، وروى عنه القاسمُ ابن سلَّام وغيرُه.

محمَّد بن الحسنِ بن فَرْقَدٍ الشَّيباني

صاحبُ أبي حنيفة، ويُكنى أبا عبدِ الله، مولى بني شَيبان[1].

والحسنُ من حَرَسْتا قريةٍ بغوطة دمشق، ثم انتقل إلى العراق وسكن واسِطاً، فولد محمَّد بها، وكان أبوه موسِراً جُنديًّا. قال محمَّد: ترك أبي ثلاثين ألفاً، فأنفقتُ خمسةَ عشرَ ألفاً على النَّحو والشِّعر، وخمسةَ عشر ألفاً على الفقهِ والحديث.

وكان محمَّدٌ إماماً في جميع العلوم. ولمَّا وُلد حمله أبوه تلك الليلةَ فأَسمعه الحديث، وتفقَّه على أبي حنيفة، وتوفِّي أبو حنيفةَ وهو ابنُ ثماني عشرةَ سنة.

كان أبو حنيفةَ يتكلَّم في مسألة الصبيِّ إذا صلَّى العشاءَ الآخرةَ ثم بلغ قبل طلوعِ الفجر، ومحمَّد قائمٌ في الحلقة وهو صبيّ، فقال أبو حنيفة: يجب الإعادةُ عليه؛ لبقاءِ الوقت في حقِّه، فمضى محمَّد واغتسل، وعاد فوقف مكانَه، فاستدعاه أبو حنيفةَ

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٨، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦١، المنتظم ٩/ ١٧٣، السير ٩/ ١٣٤، تاريخ الإسلام ٤/ ٩٥٤.

وقال: اِلزمنا فيوشك أن يكونَ لك شأن، فلَزِمه.

وكان لمحمَّد في مسجد الكوفةِ حلقةٌ وهو ابنُ عشرين سنة. وكان حسنَ الصلاةِ كثيرَ الخشوع، يقرأ القرآنَ في ثلاثة أيَّام، مشغولاً بنفسه عن مخالطة الناس، حافظاً لوقته، مستغرقَ الزمانِ في تصانيف الكتبِ وشرحها.

وكان الإمام الشافعيُّ رحمه الله يُثني على محمَّد بنِ الحسن ويقول: ما رأيتُ أحداً أعلمَ بالحلال والحرامِ والناسخِ والمنسوخِ من محمَّد، ولولاه ما انفتق لي من العلمِ ما انفتق، وما رأيتُ أعقلَ منه.

وكان محمَّدٌ إذا ذُكر عنده الشافعيُّ يقول: مرحباً بمَن يملأ الأُذن سَمْعاً، والقلبَ فَهْماً، والعينَ رَوْنقاً، وقال الشافعيُّ رحمه الله: أخذتُ عن محمَّد بن الحسنِ حِملَ بعيرٍ ذَكَر، وما رأيتُ سميناً أخفَّ روحاً منه ولا أفصحَ منه.

وقال رجلٌ للشافعي: خالفك الفقهاءُ في المسألة الفلانية، فقال: ومَن الفقهاء؟ وهل رأيت فقيهاً قطّ؟ اللهمَّ إلَّا أن يكون محمَّد بن الحسن، فإنَّه كان يملأ العينَ والقلب.

وكان محمَّد يقول لأهله: لا تسألوني حاجةً من حوائج الدُّنيا فتشغلوا قلبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي؛ فإنَّه أقلُّ لهمِّي وأفرغُ لقلبي.

قال إبراهيمُ الحَرْبي: قلت لأحمدَ بن حنبل: من أين لك هذه المسائل الدِّقاق؟ فقال: من كتب محمَّد بن الحسن.

وقال هارونُ لمحمَّد: إنَّ عمرَ بن الخطَّاب صالح بني تَغْلِبَ على ألَّا ينصِّروا أولادَهم، وقد نصَّروا أولادَهم [وحلَّت بذلك دماؤهم، فما ترى؟ قال: قلت: إنَّ عمرَ أمرهم بذلك وقد نصَّروا أولادَهم][1] بعد عمرَ في أيَّام عثمان، واحتمل لهم ذلك، وهو مذهبُ ابن عمِّك عليِّ بنِ أبي طالب، وكان من العلم بمكانٍ لا يخفى، ورأيُك أعلى. فقال: إنَّ اللهَ أمر رسولَه بالمشورة فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ونحن نُجريهم على ما كانوا عليه، ولا نتعرَّض لهم.

وكان محمَّد لا يرى صحبةَ السُّلطان وينهى عنها، وكان هارونُ يعترف بفضله ويُثني

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٢/ ٥٦٤.

عليه، ويقول: هو أجدرُ بالقضاءِ من غيره، وولَّاه قضاءَ الرقَّة مُكْرَهاً برأي أبي يوسف، فقال لأبي يوسف: إنَّما أشرتَ عليه بذلك حَسَداً لي، فقال: إنِّي نظرت، فإذا اللهُ قد بثَّ علمَنا في الدنيا إلَّا الجزيرةَ والشامات، فأحببتُ أن تكونَ بها حتى ينشرَ اللهُ بك العلم.

ذِكر وفاتِه:

خرج مع هارونَ إلى الرَّيِّ في سنة تسعٍ وثمانين ومئة، فتوفِّي هو والكسائيُّ في يومٍ واحدٍ ومحمَّدٌ ابن ثمانٍ وخمسين سنة، فقال هارون: دفنتُ الفقهَ والعربيةَ بالرَّي.

وقال هلالٌ الرَّازي: دخلتُ على محمَّدٍ وهو يبكي، فقلت: أَتبكي مع العلم! قال: لا، وإنَّما أبكي على صُحبة هذا الرَّجل، أرأيتَ لو أوقفني اللهُ بين يديه وقال لي: ما الذي أَقدمك إلى الرَّي، الجهادُ في سبيلي وابتغاءُ مرضاتي؟ فما الذي كنتُ أقول له.

أَسند عن أبي حنيفَة وغيرِه، وحدَّث عنه الإمام الشافعيُّ وغيرُه.

وكان محمَّدٌ إذا قيل له: إنَّ أُناساً يَقَعون فيك، ينشد يقول: [من البسيط]

مُحَسَّدون وشرُّ الناسِ منزلةً ... مَن عاش في الناسِ يوماً غيرَ محسودِ[1]

وقال محمَّدُ بن حمُّويه -وكان من الأَبدال- رأيت محمَّد بن الحسنِ بعد موتِه في منامي، فقلتُ له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي وقال لي: لم أجعلْك وعاءً للعلم وأنا أريد أن أعذِّبَك، فقلت: فما فعل أبو يوسُف؟ قال: فوقي بدرجات، قلت: فأبو حنيفة؟ قال: فوقي وفوقَ أبي يوسفَ بطبقات.

وممَّن اسمُه محمَّد بن الحسنِ:

محمَّد بن الحسنِ

ابن الحسين أبو عبدِ الله الدِّمشقي. ومن شِعره: [من الطويل]

فإنْ عَزم[2] العُذَّال يومَ لقائنا ... وما لهمُ عندي وعندك من ثارِ

---

(١) انظر أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٥٦، وتاريخ بغداد ١٥/ ٥٠٣.

(٢) كذا في (خ)، والمحمَّدون من الشعراء ص٣١٨، والوافي ٢/ ٣٥٦. وفي تاريخ دمشق ٦١/ ٣٠٥: غرم. بالغين المعجمة والراء المهملة.

وشنُّوا على أسماعنا وتكاثروا ... وقلَّ جنودي عند ذاك وأنصاري
لقيناهمُ من ناظريْك ومُهجتي ... وأدْمُعِنا بالسَّيف والسَّيل والنار

محمَّد بنُ الحسن بنِ شعبة[١] الحُسَيني[٢]

شاعرٌ فصيح، سكن طرابلسَ الشام، ارتجل في صديقٍ له ركب البحرَ إلى الإسكندرية في طرابلسَ فقال: [من الخفيف]

شرعوا في دمي بتشريع شُرْعٍ[٣] ... تركوني من شَدِّها في وَثاقِ
قرَّبوا للنَّوى القواربَ كيما ... يقتلوني ببينِهم والفِراق
قَلَعوا حين أقلعوا بفؤادي ... ثم لم يَلْبَثوا كقَدْر الفُوَاق[٤]
ليتهم حين ودَّعوني وساروا ... رَحموا عَبرتي وطولَ اشتياقي
هذه وِقفةُ الفراقِ فهل أحـ ... ـيا ليومٍ يكون فيه التَّلاقي

محمَّدُ بن الحسنِ بن الكَفَرْطابي الأديب

خلَّف له أبوه عشرةَ آلافِ دينار، فأنفقها في الأصدقاءِ والصِّلات. وكان من أولاد الشُّهود، وقيل: القُضاة، ومن شعره: [من البسيط]

قد عبَّرَتْ عَبرتي عن سرِّ أَجفاني ... وحاوَرَتْ حَيرتي من قبل إعلاني
لا تسألوا كيف حالي بعدَ بُعدِكمُ ... قد خبَّرَتْكمْ شؤونُ العينِ عن شاني[٥]

وتوفِّي بدمشقَ سنةَ ثمانٍ وتسعين وأربعِ مئة.

(١) كذا في (خ) والوافي ٢/ ٣٥٦. وفي تاريخ دمشق ٦١/ ٣٤٢: معية.
(٢) في تاريخ دمشق والوافي: الحسني.
(٣) في تاريخ دمشق ٦١/ ٣٤٣: بتشديد شرع. والشرع جمع شراع. والأبيات أيضاً في الوافي بالوفيات.
(٤) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت. القاموس المحيط (فوق).
(٥) تاريخ دمشق ٦١/ ٣٤٤، والمحمدون من الشعراء ص٣٧١، والوافي ٢/ ٣٥٦.

obeikandl.com